Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.33/ No.3/ 2025 المجلد 33 / العدد 3/2025

تمثلات المكان والزمان في شعر ابن الرومي

ندى شكور حسين
قسم اللغة العربية/كلية الآداب /جامعة كركوك
nadashakor@uokirkuk.edu.iq

تاريخ استلام البحث: 2025/1/23 تاريخ قبول النشر: 9/ 2025/2 تاريخ نشر البحث: 25/3/ 2025

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة لتجليات المكان والزمان في شعر ابن الرومي الذي يُعدّ من أبرز شعراء العصر العباسي؛ لما يمتلكه من إنتاج أدبي ومكانة رفيعة، وهو ما يبرز أمية دراسته، زيادة على أن المكان والزمان يُعدان من العناصر الأساسية في الشعر العربي سواء في العصور القديمة أو الحديثة؛ لما لهما من تأثير عميق على نفسية الشاعر بهما استطاع الشاعر التعبير عن قضايا متنوعة سواء كانت نفسية، سياسية اجتماعية أو فكرية مما يجعل كلماته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإنسان بشكل عام وبالتجربة الإنسانية بشكل خاص، وهذا ما يميز الشعراء عن بعضهم البعض في كيفية توظيفهم لهذه العناصر بطرق مختلفة محاولين إبراز جوانبها الفنية، حيث يشكل الزمان والمكان جمالية النص الأدبي وقد استخدم الشاعر هذه العناصر في مواقف متعددة مما يجعل من شعره ظاهرة تستحق الانتباه والدراسة.

الكلمات الدالة: المكان، الزمان، ابن الرومي.

Place and Time Representations in Ibn al-Rumi's Poetry

Nada Shakor Hussen
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Kirkuk

Abstract:

This research deals with a rich study related to the manifestations of time and place in the poetry of Ibn al-Rumi, who is considered one of the most prominent poets of the Abbasid era, due to his literary production and high status. Therefore, it was necessary to focus on this topic, as time and place are among the basic elements in Arabic poetry, whether in ancient or modern times, due to their profound impact on the poet's psyche. Through them, the poet was able to express various issues, whether psychological, political, social, or intellectual, which makes his words closely linked to humanity in general and to the human experience in particular. This is what distinguishes poets from each other in how they employ these elements in different ways, trying to highlight their artistic aspects, as time and place constitute the aesthetics of the literary text. The poet used these elements in multiple situations, which makes his poetry a phenomenon worthy of attention and study.

Keywords: place, time, Ibn al-Rumi

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مشكلة البحث: ينطلق البحث من بؤرة نصية أدبية غايتها الكشف عن طبيعة جماليات شعر ابن الرومي من الناحية الفنية، التي ساهمت بشكل فاعل في فرض سلطتها الشعرية والتأثيرية لدى الملتقي الذي يكمل دائرة المعنى ويترجم انفعالات الشاعر الجمالية.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من كونه يبحث في ظاهرة فنية وميزة إبداعية في شعر ابن الرومي، فقد رصد البحث مواضع تمثلات المكان والزمان التي زخرت في شعره والوقوف عليها وكشف ما فيها من سمات جمالية بالإضافة إلى إلقاء الضوء على نصوص الشاعر التي شكلت قيمة أدبية كبيرة.

منهج الدراسة: انطلاقا من عد النص مهيمنا في استدعاء المنهج الذي يلائمه، اعتمد البحث على المنهج التحليلي.

المقدمة: يوصف الزمان والمكان من العناصر الأساسية التي تُشكل هوية العمل الأدبي، فلا يمكن الاستغناء عنهما بأي شكل من الأشكال، وهما من المكونات الاساسية التي نادراً ما يخلو الشعر منهما، ويُعد استخدام الشاعر العناصر في النص الشعري من الأمور الحيوية التي تساهم في بناء النص، ولأن الشعراء يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بهما، فقد تعاملوا معهما بحذر وجدية، فخاطبوا المكان والزمان وحمّلوهما ما يثقل كواهلهم من مشاعر وأفكار. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون على تمهيد ومبحثين، جاء التمهيد بعنوان مفهوم المكان والزمان ولمحة عن الشاعر، فتناولت فيه تعريفات المكان والزمان من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وكان المبحث الأول بعنوان تمثلات المكان، واستعرضت في المبحث الثاني تمثلات الزمان في شعر ابن الرومي. ثم الخاتمة التي لخصت أهم النتائج التي توصلت إليها، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

التمهيد

أولا / مفهوم المكان والزمان:

المكان لغة: "الموضع والجمع أمكِنة". قال ثعلب: "يبطل أن يكون المكان فعلاً؛ لأن العرب تقول: كُن مكانك وقم مَكانك وأقعد مَكانك فقط على أنه مصدر زمن كان أو موضع منه وإنما جمع أمكِنة فعاملوا الميم الزائدة مُعاملة الأصل؛ لأن العرب تشبه الحرف بالحرف"[414:1]، وجاء في المعجم الوسيط "المكان هو الموضع جمع أمكنة وأماكن والمكان بفتح بنت وواد"[55:2]

أتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بُعداً فلسفياً مع الفلسفة اليونانية، ويُعد (أفلاطون 348–428ق.م) أول من صّرح به استعمالاً فعدّه "حاوياً وقابلاً للشيء"[19:3]، فكلمة المكان يمكن أن تتصور على أوجه عدّة، فهي تختلف بحسب استخدامها في كل مجال، إذ يعد المكان أكثر التصاقاً بحياة البشر، من حيث إن خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان؛ لأن إدراكه للمكان يكون حسياً مباشراً[14:4]، وينطلق (بوري لوتمان) في دراسته للمكان من مقولة أساسية وهي أن اللغة هي الأساس لتحويل العالم (المكان) إلى أنساق، وهذه الأنساق تكون دلالية فيصبح العمل الفني عبارة عن مساحة محددة، فالمكان يختلف بحسب توظيف الشاعر له، وعن طريق الربط بين جمالية المكان ومكونات النص الشعري يحقق النص جماليته[60:5].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مفهوم الزمان: يعد الزمن عنصراً رئيساً في الشعر فقد حظي الزمان باهتمام واعتناء الكثير من الفلاسفة والمفكرين لارتباطه بالموت والحياة

لغة: ورد في لسان العرب أن "الزَّمان والزمَن العَصرُ والجمع أزمن أزمان والزمان شديد وأزمن الشي طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمن والزمانة، والزمان زمن رطب الفاكهة والزمن الحر والبرد، قال: ويكون الزمن شهرين إلى ستة اشهر"[1: 411]، وورد في تاج العرب، أنه: "جمع أزمن وأزمن وقيل أسمان لقليل الوقت وكثيره"[6:511]، والزمن في المنجد "جمع أزمان العصر، الوقت كان طويلاً ام قصيراً"[7:522]

بدأ مصطلح الزمان عند اللغويين المحدثين متأرجحاً متشابكاً، فهو يعني عند تمام حسان تارة "الوقت كما في قوله: الزمان كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس أطوال معينة كالثواني، والدقائق، والساعات، والليل، والنهار، والأيام، والشهور، والسنين..."[8: 22]، وعلّق كريم حسام الدين على تفرقة تمام حسان بين الزمان والزمن "يقصد الزمان الذي نعرفه في الإنكليزية باسم (Time) الذي يقاس بالثواني والساعات والشهور... ويعبر عنها بالأسماء الدالة على أوقات الزمان"[9: 3] لهذا "الزمان يعد عنصرا مهما من عناصر العمل الأدبي، فهو الذي يبرز عملية، فلا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الاحوال وهي من المرجعيات الثقافية المهمة التي قلما نجد شعراً يخلو منها"[10:297]. جاء في الصحاح أن لفظة الزمن تعني((اسم لقليل الوقت وكثيره، ويجمع على أزمنة وازمان وأزمن، واقيته ذات الزمين، نريد بذلك تراخي الوقت كما يقال: لقيته ذات العوم أي بين الأعوام))[11:6] لهذا نشعر بتدفق الزمن بالتحولات التي تحدث في محيطنا، كتنقل الفصول، وظهور الليل، وبزوغ الفجر، بالإضافة إلى حركاتنا المستمرة.[12:9]

ثانيا/ لمحة عن ابن الرومي:

ابن الرومي علي بن العباس بن جريح، وقيل جورجيس المعروف بـــ(ابن الرومي) مولى عبيد الله بن عيسى، أما كنيته فهي أبو الحسن[13: 297] ولد ابن الرومي في بغداد في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الختلية في دار بإزاء قصر عيسى[13: 42] التحق شاعرنا بكتاتيب عصره وبحلقات الدين في المساجد، فحفظ الكثير من القرآن الكريم، ومن مختارات الشعر والخطب، وأفاد ابن الرومي من مناظرات النحويين، واطلع على كثير من كتب الفلاسفة وقد صرف معظم حياته في بغداد، والظاهر أنه قصد سامراء متطلباً للرزق عندما انتقلت إليها الخلافة وطالت اقامته ولم يحالفه الحظ فأكثر من ذكر الحنين إلى الوطن[14:296]فقال:

بلدٌ صَحبْتُ به الشبيبة والصِّبا ولبستُ فيه العَيْشَ وهو جديدُ
فإذا تمثَّل في الضمير رأيتهُ وعليهِ أفنانُ الشبابِ تميدُ[15:208]

وكان الشاعر غزير الشعر رحب الأفاق الشعرية، متعدد الأغراض، أما النقاد والمؤرخون فكانوا أقرب عهد إلى ابن الرومي، وهم يجمعون على شهرته باختراع المعاني، يقول ابن رشيق فيه: "أما ابن رومي فأولى الناس باسم شاعره لكثرة اختراعه وحسن اقتنائه"[16:18] وذكره ابن خلكان (681ه) قائلا: "هو صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة، فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية"[17:42]، توفي ابن الرومي "في يوم الأربعاء من جمادي الأول سنة ثمانين وثمانين، وقيل أربع وثمانين، وقيل ست وسبعين ببغداد ودفن في مقبرة باب البستان بجانب الكرخ،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

قيل: إنه قتل مسموماً بأمر من القاسم وزير المعتضد سنة 283ه، بعد أن دس له السم في طبق من الحلوى)[18: 43].

المبحث الأول/(تمثلات المكان)

وظف ابن الرومي المكان في نصه الشعري، لما يمتلكه من إمكانيات يستطيع بها يحقق غاياته الجمالية، فوظف (المكان الأليف) في أشعاره وهو المكان المرتبط بالذكريات السعيدة التي تشعرنا بالألفة والمحبة وصوّر لنا به مدى تكلفه وارتباطه العميق بأرضه، على الرغم مما كان يعانيه من صعوبة العيش، حين تناول أفلاطون موضوع المكان تصور أنه الحيز الحاوي للموجودات وهو محل التغيير والحركة أي إن المكان يحوي الأشياء ولا يستثقل عليه[550:19] فيمثل المكان الوعاء الذي يحتوي الانسان وحياته ونشاطه[509:19]، وأبرز ابن الرومي هذه الصورة في مقدمة طللية في إحدى قصائده حيث بدأ قائلاً:

طلٌ دمعٌ هُريق في الأطلال بعد إقوائها من الحُلَّلِ
قلَّ ما طُلَّتِ الدماءُ، اللواتي سفكَتْها سواكنُ
ايُّ حق لها فيرعاه راعٍ من نوالٍ لأهلها ووصالِ
فانْصرافا عن الوقوفِ عليها، إنها من مواقفِ الضلالِ
لن تَرى الدهر موقفا لرشيدٍ يشترى النُكس فيه بالإبلالِ
ليس تُجدى على المُسائل دارٌ غيرَ هيجْ السقام بعد اندمالِ[15: 245]

في هذا النص نرى كيف أن المكان المتمثل في الأطلال يؤثر بعمق على نفسية الشاعر، مما يجعله يتناغم مع الشعراء الذين سبقوه، فابن الرومي على سبيل المثال عندما تناول موضوع الأطلال والديار لم يضف جديداً في هذا السياق بل كانت هذه المعاني موجودة بالفعل وقد تناولها الشعراء القدماء قبله وهذا يبرز للقارئ مدى قوة العلاقة التي تربط الشاعر بأرضه، وقد يكون تواصل الشاعر مع تراثه في ذهنه وسيلة لتحقيق الجانب الفني أو أن هذه الأماكن تمثل رموزاً راسخة في ذاكرته لا يمكنه نسيانها مما يدفعه لاستخدامها لتحقيق أهدافه الفنية.

لم تكن الألفة المكانية في شعر ابن الرومي مقتصرة على الوقوف عند الأطلال فحسب، بل إن الألفة تتواجد في كل مكان يشعر فيه الإنسان بالراحة، وخاصة أن المكان قد احتل مكانة بارزة في شعره، كما يتضح من قوله:

خليلي عُوجا بالديارِ فإنما دعوتكما باسم الخِلال لتفعلا
ديارِ التي أرعيتها بارض الهوى وأمطرتها وسميَّ دمعي أوّلا
جعلتُ لها صدري مراداً ترودُه وبوّأتُها من حبَّة القلبِ منزلا
فما علقتْ من قلبها النفسُ معْلَقاً ولا اتّخذتْ من بعدها مُتعلَّلا[15:208]

تدور هذه الأبيات في فلك واحد لتشكل ثنائية جميلة أراد الشاعر إيصالها للمتلقي، وهي ثنائية الماضي والحاضر فالماضي يتجلى في صورة الوقوف على هذه الديار والأطلال، بينما الحاضر يظهر باستذكار هذه الديار والدعوة لها بالسقيا، لتظل خالدة في ذهن الشاعر مليئة بالحياة رغم عدم وجود أحد فيها ومن المؤكد أن استخدام الشاعر لعناصر المكان كان له تأثير واضح على نفسيته، خاصة وان تلك الديار هي ديار الحبيبة.

ومن الأماكن التي ذكرها ابن الرومي في شعره توظيفه لمدينتي (واسط وسامراء) في إحدى قصائده قائلاً:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أحبائي كم لي نحوكم من تحية أحَمِّلُها هبّاتِ كل جنوب
فلا تتركوا ردّ َ السلام إذا جرت شمالٌ على نائي المحل غريب
غريب له نفسان: نفس بواسط، ونفس بسامرّا بكفَّ حبيب[334:15]

استخدم المكان في هذه الأبيات عن المشاعر الصادقة للشاعر، فأسهم الشاعر بالحوار الموجود في النص، بالإضافة إلى واقعية المشهد فقد أظهر لنا الشاعر حالته نتيجة الشوق والحنين فانقسم إلى نصفين: جسده في مكان وروحه في مكان آخر، وكان لثقافته المكانية الواسعة مكانة كبيرة في شعره، وهذا واضح في تصوير هذا المشهد. وكذلك في قوله:

ولي وطن آليت ألا أبيعَهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفتْه النفسُ حتى كأنّه لها جسدٌ إن بان غودِرْتُ هالكا
وحَببَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ مآربُ قضاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكَروا أوطانهمُ ذكّرتْهمُ عُهودَ الصبا فيها فَحنُّوا لذلكا[898:15]

يُظهر ابن الرومي في هذا النص مدى تعلقه وحبه للمكان الذي نشأ فيه رغم الظلم والمآسي التي واجهها، مع هذا ظل متمسكًا به وهذا ليس غريبًا عليه فهو من أكثر الشعراء الذين تناولوا الأوطان في قصائدهم. ويعود شغف ابن الرومي بوطنه واهتمامه به إلى كونه يمثل أرضه وحياته وكل ما يملك، فهو ليس مجرد سلعة تُباع وتُشترى، ولا يمكنه أن يتحمل رؤية أحد آخر يمتلكه. لذا، نجد أنه عبّر عن هذا الحب بعاطفة قوية تعكس إحساسه الصادق بالانتماء إلى هذا المكان؛ لأن "العلاقة بين الأنسان والمكان تذهب في الاتجاه الحسي وتتسم تبعا لذلك ببعض التجاذب والتفاعل بين الداخل والخارج"[20:20] فالعلاقة النفسية التي تربط الشاعر بالمكان تخلق جواً حسيًا واضحًا في النص، حيث يصبح المكان موضوعًا أساسيًا في تشكيله.

ووظف المكان المعادي أضا الذي يفتقر إلى الإحساس بالأمان والطمأنينة مما يثير القلق والخوف وعدم الراحة في النفس فهو يثير مشاعر الرعب والعداء والكراهية[143:21]، ولهذا نجد أن الشخصيات تسعى للتحرر منه بطرق متعددة؛ لأنه يمثل مكاناً للكراهية والصراع[31:22] ويشكل ضغطاً على النفس. ويبدو أن شعور هؤلاء الشعراء، مثل ابن الرومي، بالغربة وعدم الألفة مع المكان يعود إلى عدة أسباب منها العزلة والابتعاد عن الآخرين، بالإضافة إلى الحزن الذي يعيشه الشاعر لفترة طويلة، وكذلك فقدان الأمان مع من يحبون[66:23] نجد في شعر ابن الرومي، أماكن غير مألوفة قد ذُكرت، مثل قوله في قصيدة يهاجم فيها مدينة واسط ويتوق إلى مسكنه في سامراء حيث يقول:

سقُيتُنَّ يا منزلات الهوى بوادي الشريحة صوبَ الحيا
ولا زالَ مسرحُ غزلانُكنَّ مربعَ المحلَّةِ والمنتأى
وجاورتِ الروضَ حيثُ الحسا نُ تغضُّ النهى من عيونِ المها
فبدِّلتُ منكن في واسطٍ مساكن أنباطِ أهل القُرى
ومن سُرَّ من را وروضاتها حشوشاً تقابلُ وسط الملا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومن حسنِ أوجه سكّانها قروداً تزحَّرُ تحت الغضا
نحافَ الجسومِ خفافَ الحلو مِ صغارَ الرؤوس عظامَ اللحى
فلا قدستْ واسط بلدةً ولا جادها من سحابٍ روا[124:15]

في هذا النص الشعري، يعبر الشاعر عن مشاعر الحب والشوق التي يحملها تجاه مدينة سامراء، بينما يظهر في الوقت نفسه كراهيته وعداءه لمدينة واسط فقد أصبح شعوره تجاه هذه المدينة عدائياً نتيجة لسوء الإقامة فيها واحتقاره لأهلها الذين وصفهم بالقرود، يرى الشاعر أن هذه المدينة أصبحت رمزاً للأمانة المعذبة، وتمثل طبيعة المكان العدائي، حيث يشعر أنها كالسجن الذي يمارس فيه ضغوط الإقامة الجبرية، وأن الدلالة المكانية في هذه الأبيات ترتبط بغرض الهجاء، حيث تتجلى في صورة شعرية تعكس استهزائه بهذه المدينة وعدم حبه لأهلها.

لابن الرومي قصيدة سرد فيها العديد من الأحداث والمشاهد يقول فيها:

توخَّى حمامُ الموت أوسطَ صبيتي فلله كيفَ اختار واسطة العقْد
على حينِ شمْتُ الخيْرَ من لَمحاته وآنَسْت من أفعاله آيةَ الرُّشْدَ
طواهُ الرَّدَى عنِّي فأضحى مزارُهُ بعيداً على قُرْبٍ قريباً على بُعْدَ
لقد أنْجَزَتْ فيه المنايا وعيدها وأخْلفَت الآمالُ ما كان من وعد
لقد قلَّ بين المهد واللَّحد لُبثُه فلم ينْسَ عهدَ المهْد إذ ضُمَّ في اللَّحد[15: 624]

عرض الشاعر في هذا النص مجموعة من الأحداث التي نتجت عن فقدانه لابنه محمد وكان حاذقًا في سردها، وقد ارتبطت هذه الأحداث برابط زمني كان بمثابة المحرك الأساسي لها، فنجح ابن الرومي في استخدام المكان وسيلة للتعبير عن مشاعره من ألم وحزن بسبب فقد ولده، فهو يشبه الجوهرة التي توضع في وسط العقد، وعند فقدانها يفقد العقد جماله. لقد هاجمه الموت بشراسة، ليأخذه بسرعة إلى مكان يفتقر إلى الألفة، وهو القبر الذي أبدع الشاعر في وصفه فهو يرى أن ابنه قريب بجسده الذي فارق الحياة، لكنه بعيد بالروح التي صعدت إلى السماء، فأصبح بعيد المنال رغم قرب المكان وعدَّ الموت قدراً محتوماً لا مفر منه كقوله:

نبلُ الرَّدى يقصدْن قصدَكْ فأحدَّ قَبْلَ الموت حدّكْ
قَدْ عَدَّ قبلكَ منْ رأيــ تَ ولسْتَ تلبَثُ أن يَعدَّكْ
فدَع البطالةَ والغوا يةَ جانباً وعليك رشدَكْ
فكأنني بك قد نُعيــ تَ وقد بكى الباكونَ فقْدَكْ
وتركْتَ منزلكَ المشيّــ دَ مُعطَّلاً، وسكَنْتَ لحدك
وخلْوتَ في بيت البلى وخلا بكَ الملكانِ وحدْكْ
وسلاكَ أهلُك كلُهم ونسوا على الأيام عهدكْ
يتمتعون بما جمعْــ ت ولا يرونَ عليه حَمْدك
مُتمهَّدون وأنت تحــ ت الرَّمس يرعى الدودُ جلْدَكْ
قد سلموكَ إلى الضريــ حِ ووسَّدوا بالترب حدَّكْ[66:15]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أسس الشاعر في هذا النص علاقة بين الأحداث والشخصيات بتوظيف تقنيات معينة، مما أسفر عن تحقيق وظيفة المكان ودلالته، التي تتمثل في المكان الغيبي الآخر، الذي يتضمن بعداً زمنياً غيبياً بالإضافة إلى كونه مكاناً غيبياً. وقد اعتمد الشاعر على تقنية الاستباق الزمني لتحقيق هذا الغرض. ويظهر أن الشاعر قد نسق بين الأحداث والشخصيات ليقدم لنا صورة حية تعكس ما يختبره الإنسان عند وجوده في ذلك المكان، المتمثل في القبر، الذي يُعد ضرورة لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها وقد يُعتبر القبر في الواقع النهاية أو المحطة الأخيرة لكل الأبعاد المكانية التي يشغلها الإنسان في حياته.

المبحث الثاني:(تمثلات الزمان)

وظف ابن الرومي الزمن في أشعاره مثل: الزمن الصريح فاستخدم مفردات الزمن القصير أكثر من مفردات الزمن الطويل على سبيل المثال، ثم كلمة اليوم أكثر من الشهر أو العلم، وقد يكون السبب في ذلك ارتباطه بالزمن الحالي الذي يعكس حالته الشعورية. ويضيف الشاعر أحياناً إلى الممدوح صفات تتعلق بالزمن الموضوعي؛ لأن "الزمن في الشعر صورة مجازية يقع على الوصف والتشخيص"[24: 158]. ومن مفردات الزمن مفردة **(اليوم)** التي تحمل عند ابن الرومي دلالات متعددة تختلف باختلاف السياقات التي يتناولها، وتظهر هذه الدلالات بشكل واضح وفق حالته النفسية ورغباته الداخلية وتبرز أولى هذه الدلالات في النص التالي الذي يقسم فيه أيام الأسبوع، محدداً ما ينبغي أن يكون في كل يوم ولعل هذا التخصيص الذي نلاحظه عند الشاعر إشارة تعكس عمق دلالة كل يوم من هذه الأيام بالنسبة له فهو يخصص يوم السبت للصيد، ويوم الأحد للبناء، ويوم الاثنين للسفر، فيظن أن المسافر فيه سيحقق النجاح ويتجنب المخاطر، أما يوم الثلاثاء فخصصه للحجامة؛ لأنه يوم إراقة الدماء، ويوم الأربعاء للدواء، والخميس لقضاء الحوائج، والجمعة للخطوبة والزواج[1:44] وفي هذا النص نستطيع أن نرى بعض هذه الأيام يقول الشاعر:

لنعم اليومُ يَومُ السبتُ حقا لصيدٍ إن أردتَ بلا أمْتراءِ
وفي الاثنين إن سافرتَ فيهِ تتنبأ بالنّجاح وبالنّجاءِ
وَفي يوْمِ الخميْس قضاءُ خيْرٍ ففيه اليومُ يوم الأربعاءِ
ويوْمِ الجمعة التنعيم فيْه وتزويجُ الرّجال مع النساء[15:656]

نعتقد أن اختيار الشاعر لهذه الأعمال في تلك الأيام لم يكن عشوائيًا، بل جاء نتيجة للأحداث المهمة التي وقعت فيها، مما جعل الشاعر يتفاعل بمعاني تلك الأعمال. فالإنسان يميل إلى تفسير ما يواجه من مشاهد لصالح حالته، والعكس يحدث عندما تنقبض مشاعره. وقد اختار يوم السبت لأنه يكثر فيه صيد الأسماك، بينما خصص يوم الاثنين للسفر أما يوم الخميس فقد جعله لقضاء الحوائج، ويوم الجمعة للزواج.

ومنها مفردة الضحى؛ وهو الوقت الذي يبدأ من طلوع الشمس وارتفاعها إلى قبيل وقت الظهر، فيعد هذا الوقت من الأوقات التي تعكس للشاعر معاني القوة والجمال، ويتجلى ذلك بوضوح في موضوع المديح، كما في قوله حين يصف أحد ممدوحيه بأنه كشمس الضحى، فإذا طلعت لا تستطيع العيون مجاراتها[1: 88]:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

هو شمس الضحى إذا ما استقلت لا تمارى في ضوئها عينان[6:15]

وقوله:

ويا منْ أضَاء كشْمس الضّحى فأضْحىْ عليْه بهِ نسْتَدلّ[5:15]

قصد بذلك بزوغ النهار حيث يشير الضحى إلى لحظة انبثاق أشعة الشمس، ويُعد هذا الوقت من الأوقات التي تعكس لشاعر معاني القوة والجمال، ويتجلى ذلك بوضوح في موضوع المديح، فقد شبه حضور الممدوح البهي بشمس الضحى، وبه تستدل العيون والنفوس.

ومنها مفردة الليل الذي يُعد من الأوقات التي تكتسب أهمية كبيرة لدى الشعراء؛ لأنه يمثل منفذاً لتصوير ما يوجهونه من هموم فكرية ومحاولات سهر، خاصةً أولئك الذين يعانون من أزمات نفسية وظروف صعبة[25: 804]لذا نجد الشاعر يملّ من الليل ويشعر بالضجر؛ لأنه يحمل له وعوداً لم تتحقق، فيقول:

وعدتْني وعداً فهاجتْ حروبا بين عيني فيه وبين المَنام

بتَ شر المبيت ما ذقتُ غمْضا طول ليلي والليل ُليلُ تمام[444:15]

عندما غادر ابن الرومي في رحلته إلى أحد ممدوحيه، اضطر إلى قضاء الليل في خان قديم البناء، سقوفه متداعية، وكان المطر الغزير يتسرب بالثقوب، مما جعله يشعر بالخوف والجوع والوحدة. قضى تلك الليلة سهرانا يعاني من الألم وتلاحقه الهموم.

يرى ابن منظور أن العام والحول والسنة تشير إلى مدة زمنية محددة تمتد لاثني عشر شهراً، تشمل فصل الشتاء والصيف، وقد أوضح أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) الفرق بين العام والسنة، فيُعد العام جمعاً للأيام بينما السنة تجمع للشهور. ولهذا يُقال: عام الفيل ولا يُقال سنة الفيل ويظهر ذُكر العام في شعر ابن الرومي عندما يتأمل خمسين عاماً كانت تمثل ربيع الشباب، لكنها مضت من دون عودة، فيقول:

فكرتُ في خمسين عاماً خلَتْ كانتْ أمامي ثم خلّفتُها

فأعوام كأن العام يوم وأيام كأن اليومَ عام[6:15]

كما ذكرنا سابقًا، فإن الزمن النفسي هو زمن إنساني يتغير بتغير تجارب الإنسان من حالات مختلفة؛ لأنه ناتج عن تلك التجارب ويكتسب صفاته من المشاعر التي يمر بها الإنسان وهذا يعني أن الزمن الذي نعيشه هو الزمن الأقرب إلى مشاعرنا يأتي الشعر ليعبر عن عواطفنا، التي تمثل مكانة رفيعة فيه بناءً على ذلك، نجد شاعرنا يصف لنا أعوامًا كأنها أيام، مما يدل على الشعور بالراحة والأمان والمتعة، وأياماً كأنها أعوام، مما يشير إلى الشعور بالخوف والقلق والحرمان.

الزمن غير الصريح: تأتي كلمة الزمان أو الدهر تتبع ألفاظا عديدة تُستخدم وفقًا للدلالة الزمنية التي وُضعت من أجلها، فتأتي لفظة الدهر التي أصبحت موضع جدل بين اللغويين في تحديد معناها فقد اتخذ بعضهم أن الدهر هو الأبد أو الزمن الذي لا ينتهي، بينما رأى آخرون أن الزمان والدهر هما شيآن متشابهان. ويبدو أن هذا الرأي هو الأكثر صحة[1439:1]بناءً على ذلك نلاحظ أن الزمان يُعد أحد عوامل الخوف لدى ابن الرومي، مما جعله في صراع مستمر معه كما في قوله:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أعْجب بآمن دَهْر وهْوَ مبترك يُعريه منْ وَرق طوْراً ومنْ نجبِ

حَسْبُ أمْرئ مِنْ جنىْ دَهر تطاوُلُهُ وَإن أجمّ فلمْ ينكبْ ولمْ يُنبِ[190:15]

ومن هنا نؤيد من يرى أن نظرة الشاعر إلى الزمن او الدهر تعكس تشاؤماً؛ لأنه من المستحيل أن يسعد زمن السعداء.

وأحياناً أخرى نراه يتوجه نحو الصبر، فيجد فيه ملاذاً من مكر الأيام. وهذا يعكس تسليماً بإرادة الله وحكمته كما يقول:

ولما رأيتُ الدهر يؤذنُ صرفهُ بتفريق ما بيني وبين الحبائبِ

رجعت لي نفسي فوطنتُها على ركوب جميل الصبر عند النوائبِ[15: 325]

نجده يخلق لنفسه زمناً من اللامبالاة أو إلهاماً شعرياً متمرداً على الواقع، لا يعرف الاستسلام لذا، كان محور اهتمامه هو الرفض بكل تجلياته في مجتمع كان يُنظر إليه فيه على أنه متشائم أو متطير.

وكما في قوله أيضاً وهو يعلن صرخته بوجه الزمان قائلاً:

إن من ساءهُ الزّمان بشيءٍ لأحق أم بأن يتسلى

أترى أن أسوء نفسي لِما ساءني الدّهر لا لعمري كلا[352:15]

لذا نرى أن مهمة الشاعر تتسم بصعوبة الفهم، إذ يقدم لنا الزمن بحقائق أدبية تتشابك مع الواقع حتى وإن بدا أنها تتجاوزه فالحقيقة الأدبية هي تلك التي تنبثق من التجربة الإنسانية التي تنشأ عن علاقة عميقة بين الذات وما يحيط بها. وهذه الحقائق تمثل خلاصة تجارب الشاعر مع الزمن الذي عاشه في صراع مستمر، مما أدى إلى معاناة نفسية حادة وصلت به إلى حدود التشاؤم، وجعلته إنساناً غير قادر على التكيف مع واقعه لو كان ابن الرومي يمتلك القدرة على استبدال زمانه بآخر، لكان فعل ذلك دون تردد لكنه كان واعيًا تمامًا لدورة الحياة التي لا تتوقف، فهو الكائن المتحرك الذي يؤثر في كل ما حوله لذا، وجد نفسه ضائعًا في زمن لم يمنحه سوى المعاناة والآلام.[76:26]

الخاتمة

- شكل المكان في شعر ابن الرومي عنصراً بارزاً لا يمكن الاستغناء عنه، بل أصبح بمثابة القاعدة التي انطلق منها الشاعر لبناء عوالمه الشعرية.
- تجلى الزمان والدهر في عيون الشاعر قوة هائلة تثير الخوف والرهبة، فعدَّهما مصدراً لكل ما يصيب الإنسان من خير وشر صلاح وفساد هذه القوة تنبع من استمرارية الزمن وامتداده وقد حذر الشاعر من مغبة الاعتماد عليه والثقة به لذا كانت نظرته تجاهه مليئة بالتشاؤم خاصة بعد أن اكتشف أن الزمن يرفع من شأن البعض ويخفض من شأن آخرين.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

- لعنصر المكان أثر في شعره سواء في صوره المألوفة أو تلك التي تحمل طابع العداء ورغم أن المكان المألوف قد استحوذ على النصيب الأكبر في ديوانه، والسبب في ذلك شعور الشاعر العميق بالانتماء إليه، فكان هذا المكان هو الرابط الذي جمع بين كيانه وهويته.
- تنوعت تسميات الزمن في معاجم اللغة وفي كتابات الأدباء والعلماء، حيث وجدت مفاهيم عدة مثل الزمن الموضوعي، والزمن الذاتي، والزمن الدائري، والزمن الخطي.
- تأثرت موضوعات وأغراض الزمن في شعر شاعرنا بشكل واضح، حيث تنوعت بشكل ملحوظ وشاعت وانتشرت بشكل واسع.
- تتميز لغة ابن الرومي الشعرية بخصائص فريدة تجعله واحداً من أبرز الشعراء العرب، حيث يمتلك صوتاً خاصاً يميزه عن غيره، وهو أمر نادر الحدوث بين الشعراء المبدعين. لقد انفرد الشاعر بلغة شعرية تجسد التجديد والتميز، مما يبرز أهميته الفنية وصورته الشعرية الفريدة.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، تح عبدالله علي الكبير، دار الجبل بيروت، 1988.
[2] إبراهيم انيس، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الأهلية، القاهرة، 2011.
[3] حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، تقديم: د. عبد الأمير الأعسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1980.
[4] هلال الجهاد، جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الشعر الجاهلي، بيت النهضة شارع البصرة، ط1، 2007.
[5] يوري لوتمان، من تحليل النص الشعري إلى سيمائية الثقافات، عز الدين المناصرة، دار المعارف، 1995.
[6] تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، مؤسسة الكويت لتقدم العلمي ج 13، ط1، 1431ه 2001م.
[7] علي بن الحسن الهنائي، المنجد الابجدي، علي بن الحسن الهنائي، دار المشرق بيروت لبنان د ط.
[8] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
[9] ابن مالك جمال الدين ابي عبدالله محمد، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ط1، المطبعة الأميرية،1319ه.
[10] هبة خالد قدوري، ياسر احمد فياض، مرجعيات الزمان الثقافية، مجلة ديالى للعلوم الإنسانية، المجلد الأول، 2023.
[11]الشكوى فيشعر فتيان الشاغوري، م.د جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي، مجلة جامعة كركوك، المجلد16، العدد 16 لسنة 2021.
[12] ينظر: الإجلاء والإذلال في المقامة الصيميرية لبديع زمان الهمذاني، د. باسم ناظم سليمان، مجلة جامعة كركوك، العدد2، المجلد4، لسنة 2009.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[13] خير الدين الزركلي، الاعلام، دار الملايين، لبنان، 2002.
[14] ابن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان،(ت 681ه) تح، إحسان عباس، دار صادر بيروت (د.ت).
[15] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)،ط2، دار المعارف، مصر، 1991.
[16] ديوان ابن الرومي، ابي الحسن علي بن العباس بن جريح (ت283ه) تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثاق القومية، القاهرة، ط3، 2003م.
[17] الموسوعة الأدبية الميسرة، خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، طبعة جديدة منقحة، 1992.
[18] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان،(ت 681ه) تح :إحسان عباس، دار صادر بيروت (د.ت).
[19] مجلة بابل للعلوم الانسانية، جامعة بابل، المجلد26، العدد4،2014،أزهار كاظم كريم، جماليات المكان في رسوم رينيه ماغريتي.
[20]حبيب مؤنسي، فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية)، منشورات اتحاد الكتاب، العرب، دمشق، 2001م.
[21] المكان في الشعر المهجري، حكيم صبري عبدالله، (رسالة ماجستير) الجامعة المستنصرية، كلية التربية،2001م.
[22] سيزا أحمد، جماليات المكان، مطبعة دار قرطبة، عيون المقالات للنشر، الدار البيضاء، ط1988،2.
[23] لطيف محمد حسن، الحياة والموت في شعر ابي القاسم الشابي (دراسة في الثنائيات)،(رسالة ماجستير) كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1989م.
[24] حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1991.
[25] ابو أسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب،(ت453ه)، تحقيق د. زكي مبارك زاد في شرحه، دار الجيل، بيروت،ط4، 1972م.
[26] رائد عكلة خلف الدليمي، الزمن في شعر ابن الرومي (رسالة ماجستير) جامعة الأنبار، 2005.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq